فرنسوا القديس . لذلك لما هجم الثوار على الدير المذكور وفتكوا بسكانه السبعة والسبعين شهيداً كما ذكرنا كان الطوباوي غرويار في مقدمة الجميع مظهراً بسالة غريبة وحبا حارًا ليسوع المسيح فضُرب عنقه وقطعت اعضاؤه وهو يقول : «ربي اغفر لهم . . ربي اقبلني في مساكنك العلوية حيث امتلكك انت الخير الاعظم» وهكذا تمت هذه المذبحة الهائلة في دير القديس فيرمان الذي نحن نجلُّهُ لانهُ كان قديماً مدرسة دي بون زانفان (Collège des Bons Enfants) التي كانت مهد جمعيتنا ومسكناً لابينا ومؤسسنا القديس منصور دي بول . فاصبحنا اليوم نجلُّهُ ونكرمه اضعافاً ونحبُّهُ بزيادة لانه تقدَّس بدماء هؤلاء الشهدا الجدد الذين اعلنت الكنيسة المقدَّسة انهم طوباويون بحفلة في غاية الابهة والكمال . رزقنا الله شفاعتهم وحفظنا ببركتهم في ايامنا التويم

لم تصلنا تفاصيل شهيد ثالث من جمعيتنا قُتل ايضاً في هذه المذبحة وان شاء الله نذكرها عند سنوح الفرصة)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

القسم الرابع

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ ابن القلاعي

﴿خلاصة اخباره﴾ هو جبرائيل بن بطرس الماروني الشهير بابن القلاعي ولد في لبنان في اواسط القرن الخامس عشر وتاقت نفسهُ الى العلم منذ نعومة اظفاره لكنَّ حالة لبنان في ذلك العهد لم تسمح لهُ بغير معرفة مبادئ القراءة والكتابة . ثمَّ زهد في الدنيا بعد ان اختبر قلَّة هنائها . واتَّصل بالمرسل الفرنسيسي رسول لبنان فرانسيس

فارسلهُ الى ديرهم العامر في القدس الشريف . فما لبث ان طلب الانضمام الى رهبانيَّة القديس فرنسيس فأرسل الى رومية سنة ١٤٧١ مع رفيق من وطنهِ يُدعى يوحنَّا . فانكبَّا هناك على العلوم الادبيَّة والدينيَّة حتى اتقناها ورُقيا الى درجة الكهنوت

وفي السنة ١٤٩٣ أبحرا قافلين الى اوطانهما . لكنَّ مركبهما الشراعي أُصيب بانواء هائلة هلك بسببها غرقاً رفيق ابن القلاعي ونجا هو بنعمةٍ خاصَّة من الله فـاخذ يتعاطى في وطنهِ كلَّ اعمال الرسالة ليثبِّت اهل جلدتهِ في ايمانهم ويردَّ غارات اليعاقبة الذي كانوا ساعين في تضليل اللبنانيين وزرع زوان تعاليمهم في الجبل . فتصدَّى لهم وفنَّد اضاليلهم وصان مواطنيهِ من فسادهم وقرَّر امام رؤساء طائفتهِ دوام اتحـاد الموارنة مع الكرسي الرسولي

وفي السنة ١٤٩٦ أقيم ابن القلاعي رئيساً على دير رهبانهِ في قبرس فسكن في مدينة افقسيَّة (او نيقوسية) في دير الصليب وعُني بامور اهـل المدينـة بكل غيرة ولاسيما بالموارنة المهاجرين الى قبرس . ولمَّا توفي اسقف قبرس الماروني يوسف الكيزفانه سنة ١٥٠٢ طلب الموارنـة ان يقام خلفاً لهُ على كرسيّ قبرس مُواطنُهم ابن القلاعي فاجاب الرؤساء الى طلبهم فسُقف المذكور وساس رعيَّتهُ احسن سياسة الى آخر حياتهِ فانتقل الى رحمة ربهِ سنة ١٥١٦

﴿علومهُ وآدابهُ﴾ هو اوَّل كاتب ماروني اشتهر بتآليفهِ التي عدَّدها البطريرك الدويهي في تاريخ الطائفة المارونيَّة (ص١٥٣ــ١٥٤) فمن اخصّ مصنفاتهِ مقالات في التعاليم المسيحيَّة وفي اسرار البيعة وفي الطقوس وتفنيد الهرطقات وفي الحقّ القانوني الماروني مع خمسين موعظة في اخصّ المعتقدات الكاثوليكيَّة وتراجم قديسين

﴿الشاعر﴾ كان جبرائيل القلاعي شاعراً فطرياً لم يعرف من العروض والاوزان الَّا ما ارشدتهُ اليهِ الطبيعة وما سمعهُ في وطنهِ لبنان من الاغاني العاميَّة او المنظومات البيعيَّة السريانيَّة . فعلى هذا الاساس بنى زجلياتهِ التي خلَّف منها شيئاً كثيراً . فاذا قسناها بالشعر الموزون والكلام الفصيح نفرتَ منها وانما كانت العامَّة تستحسنها وتتغنى بها وبالخصوص لما كانوا يجدون فيها من ذكر حوادث الاجداد وحروبهم ومن التعـاليم الدينيَّة والادبيَّة ومن قصص الشهداء والقدّيسين ولاسيما من سيرة السيد المسيح ووالدتهِ الطاهرة . وقد برع ابن القلاعي في كل ذلك فكان لاناشيدهِ وزجلياتهِ

تأثير كبير في قلوب ابناء طائفته ولعلّها كانت من اقوى العوامل لحفظ اهل ملّته في دينهم المستقيم ولصيانتهم من وباء الاضاليل

وها نحن نذكر شيئاً من زجلياته ايقف القرّاء على طريقته النظميّة. وقد سبق له في المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٢٥٠ــ٢٥٦) مناحة او مرثاة قالها لمّا غرق رفيقهُ ٥ الاب يوحنّا اوجوان الراهب الفرنسيسي الماروني ونشرها حضرة المسيو جرجس منش ومما جاء فيها قولهُ :

باب الفراج يا حبيبي بالحقّ درب الخلاص
تركتني في التجاريبِ وانت ذقت المغاص (١
ما كونّا تنينا (٢ اخوهْ زيّ الطيور بالقفاس
لماذا تخيّب نصيبي من سكنة لجج البحار؟

ومنها : يا حوت ابلعت يونانْ رابع يوم اخرجتهُ صحيح
وصار نبي صادقْ عن قبر يسوع المسيحْ
اجعل اخي مثل يونان في وسط بطنك يستريح
واخرجهُ منهُ زي يونان يكرز بما قد اختبارْ (٣

طوباك يا كاهن الله لأنك اقتبلت الكليلْ
من اجل الطاعة استحيّت تسلك طريق الجليلْ
طوبى لأمك غنيّه (٤ الذي ربّتك يا فضيلْ

١) يريد بالمغاص على ظنّنا غوصهُ اي غرقهُ في البحر
٢) هذا على لفظ العامّ يريد كنّا اثنينا
٣) يريد بما اختبرَ وتعلّم ٤) غنيّه اسمُ والدته على ما يظهر

قربان تقدّمت مقبول صالح وحسن الثمار

وهذا مثال آخر قاله في ما جرى للسيد المسيح عند موته:

وقال يسوع: الروح اسلّمك يا ابي وقد احتنى رأسهُ وصار كالناعسا
بساعة انفلق الصخر في وقت موته واظلمت الدنيا وصار التهدُّما
والشمس انكسفت غير وقتها حتى القمار اظلم في وقت معتّما
واترعزعوا الأموات جوّ قبورهم وليس عاد نجوم تزهر في السما
وصار الظلام من السادسة للتاسعة على سائر الاقطار مسودّ مظلما
نظر المقدّم ذي العجائب كلّها ودقّ على صدره وخفّ وتوهّما
وقال: ابن الله كان هذا صالحاً جميع اليهود هربوا بخوف وتقمقما
قالون لبيلاطوس: تشيله عن الصليب لانّ غدا السبت يوماً معظّما
وقال لهم: اكسروا رجليهم حتى يموتوا واحفروا قبرهما
كسّرون رجلين اللصوص اثنينهم ويسوع وجدوه ميّت زي نائما
ليس كسّرون رجليه لكن بحربه طعنوهُ في جنبهِ خرج دماً وما
لونجين كان اسمهُ الذي طعن المسيح وكانت اعيانهُ تغشّت بالعما
ولمّا سكب الدم على عود حربتهِ وضعهُ على عينيهِ بنور استرجعا
وصاح يقول: انا بيسوع مؤمناً تشهّد على اسمهُ وصار مكرّما

وله زجلية مطوّلة في تاريخ لبنان وعن اصل الطائفة المارونيّة وفيها يقول:

نرجع نخبر عن مارون كان عالم بما في القانون
من انطاكية ابوه اغاتون مطران مع السريان قد صار

جاء لطرابلس وتكلّمْ مع الكردينال وعليه سلّمْ
لقاه شاطرْ فاهمْ معلّمْ اخذه معهُ في الابحارْ

قال للبابا اخبارُه وثبّت قولُه واسرارُه
رسمه بطرك واعطاهُ درْعاً واوصا يتحذّرْ

قال لهُ تجنّب الملكيّه والياقبة والقبطيّه
جبل لبنان يكون لك رعيّه في كفرحيّ مات ذا المختارْ

ومنها وصفهُ للحركة اليعقوبيّة في لبنان بعد ذكره لعبد المنعم اليعقوبي الذي مات موتة لا دين ولا ايمان، قال يذكر ابن شعبان :

البطرك كان في قنّوبينْ وابن شعبان في حردينْ
جا يخدع المسيحيّين منهُ تنسّل ثلاث طغيانْ

ومن اصله كان رومي وبعد ذلك صار ماروني
جاء اليه داسوس ملعوني يدعى عيسى باسم مطرانْ

ابن شعبان مع جماعة حردينْ وصاروا في زيّ الشياطينْ
واطفا العدماء والمنحفظينْ يعلّمون البنات مع الصبيانْ

ويصلّبون بواحد صابعْ وينكروا مجمع الرابعْ
وبابا لاون السابع(١) وملك الارتودكسي مرقيانْ

ومارون صار ملبوك معهم وكلّ عديم كان يتبعهم

١) والصواب القديس لاون الاوّل المعروف بالكبير الذي ثبّت المجمع الخلقيدوني ضد القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح

والافعى المسمّه تلذعهم ولا كان يفزع من النيرانْ

مات الافعى وقام ابنُه وفي الطغيان انحس منه

عن الايمان قد ضاع ظنُّه وراد يحرق لمن ينهانْ

فترى من هذه الامثلة ما تميز به اوّل قوّال لبنانيّ صبرت زجليّاتهُ على افات الزمان فلهجتهُ تُشعر بقرب عهد اللبنانيين بالتكلّم بالعربيّة مع آثار اللغة السريانيّة الشائعة بينهم

٦ ابراهيم الانطاكي

﴿اخبارهُ وشعرهُ﴾ هو ابراهيم الانطاكي ثمّ الحلبي المعروف بأصطا ابراهيم الحمامي النصراني. قال محمّد بن ابراهيم الحلبي المتوفى سنة ٩٧٢ للهجرة (١٥٦٣ م) في كتابهِ دُرّ الحَبَب في تاريخ حلب (Flügel, Ms. de Vienne, ff. ١١٧): كان شاعرًا ذا ذكاء وذوق مع كونهِ عاميًّا ولهُ موشّحات وتصانيف واعمال موسيقيّة مشهورة على لحنٍ فيها وديوان حافل سمّاه «برهان البرهان». ثمّ ذكر شيئًا من شعره وختم بقولهِ: توفي ليلة عيد الفطر سنة ستّ وعشرين وتسعمائة (١٥٢٠م):

من شعرهِ موشّح قال فيهِ:

باكرْ يا صاحْ لرشف قدَحْ فالكاسُ زِنا دَ الخَمْر قَدَحْ

واشرب قدحاً وانفِ ترحاً وأجنَحْ مَرَحاً وَأَلمحْ لِمَلَحْ

بكّرْ في الكأْ س اذا جُليَتْ بالبسط اكادُ أطيرُ فَرَحْ

تنفي الاحزا نَ بساحتها وبنَشوتها كم شحّ سَمَحْ

فى شرح معا ني بَهجتها قدحٌ منها للصدر شَرَحْ

تنفي الاسقامْ من الاجسامْ بها ما هامْ وراحَ نصَحْ

واشرع في صبـــح غبـقتهـا فالديك على م النَدمانِ صَدَحْ
والوقتُ صَفا والحبّ وفَى والكاسُ شفى والهمُّ بَرَحْ
والجوُّ خـلا والبدرُ جَـلا والطَّيرُ تـسلا والكاسُ طفَحْ

الى ان قال :

ما زلتُ مَسَا ئي مغتبقاً في الحضرةِ حـــتى الصُّبْحُ وضَحْ
من عظم سرو ري في فرحي ايقنتُ بانَّ م العقـلَ شطَحْ

وهو القائل في وداع احباب (من الرمل) :

مُقلتي يوم النوى اذ رَحلوا خلَّفتْ من أجلهم طيبَ الكَرَى
ان تَسَلْ عمـاً جرى من ادمعي فوق خدّي بعـدَهم يا مـا جرى

وقال في معناهُ (من الرجز) :

أحبابَنا من بعدكم اجريتُمُ مـدامِعي
مَن لي معيناً في الهوى يبقى على المَدى معي

وقال في وصف غلام (من الطويل) :

ولي رشأ حازَ الجمالَ بأسرهِ لهُ طلعةٌ فاقت على شَفَق الفجرِ
تحيَّرَ فيهِ الواصفون لحسنهِ وقالوا : عجَزْنا عنهُ بالفكرِ والذكرِ
فقلتُ لهم : هذا الذي صحَّ انَّهُ كما شاعتِ الاخبارُ في البَرّ والبَحرِ
تَرآى ومرآةُ السماء صقيلةٌ فأثَّر فيها وجههُ صورةُ البَدْرِ

ولهُ في آخر (من الرجز) :

مُهَفْهَفٌ من لطفهِ اعطافُهُ ترنّحت وخدُّهُ لشقوتي وَرْدتُهُ تفتّحتْ

وقال يهجو بعض الامراء وفيهِ نوع الاكتفاء (من المجتث):

اميرُنا ذو معانٍ بحركاتِ السَّواكِنْ
حَلا حلاوةَ لفظٍ حلو اللسان ولكنْ...

وقال يهجو صوفيًّا (من البسيط):

للهِ صُوفيُّ وقتٍ حازَ اربعةً لاحت لنا من معانيها عباراتُ
دقنٌ ودِلْبٌ وعكّازٌ ومسبحةٌ دكّانُ زوكرةٍ فيها فشاراتُ

٧ - عيسى الهزّار القوّال

﴿اصلهُ . زمانهُ . ملّتهُ﴾ كان اوّل من ألفتَ نظرَنا الى عيسى الهزّار السيد المرحوم عبد يشوع الخيّاط بطريرك الكلدان في سنة ١٩٠٤ فذكر عنهُ انهُ كان قسّيساً ورجح كونهُ عاش في اواخر القرن الثامن عشر وحكى عنهُ انهُ في ليلة تغنّى على السطوح باغاني روحيّة فجنق عليهِ بعض اعدائهِ فارادوا لهُ سوءًا فهرب من وجههم مختفياً وكان ذلك آخر العهد بهِ (قال) ولعلّهُ ذهب الى القدس وهناك قضى عمرهُ . وشكّ الكاتب في ملّتهِ أكان من طائفة الكلدان ام من السريان وانما اثبت كونهُ من الموصل

ثمّ وردتنا في السنة ١٩٠٦ مجلّة الشرق المسيحي (Revue de l'Orient Chrétien) واذا في عددها الثالث (ص ٢٥١ — ٢٧٣) مقالة مطوّلة نشرها المستشرق الاسباني الكاهن مخائيل اسين پلاسيوس (Miguel Asin Palacios) استاذ العربيّة في مدريد مضمونها قصائد روحيّة باللغة العاميّة للقوّال عيسى الهزار نقلها عن مخطوطة للعلّامة الكبير فرنسيسكو كودیرا (F. Codera) مواطنهِ يؤخذ منها انّ اسمهُ كان فارساً ثمّ اشتهر بعيسى ولعلّهُ اتّخذ هذا الاسم الاخير لما صار كاهناً . واماً كونهُ كان يسمّى فارساً فالدليل عليهِ ما قالهُ في آخر انشودةٍ من اناشيده

فارس قد نظم هذا المديح في العذرا البتول امّ المسيح

واما اسمهُ «عيسى الهزار» فقد كرّرهُ مرارًا في خاتمة قصائده كقولهِ :

انا هو عيسى الهزارْ ونظمي في الملا سكّرْ

ويقول في محلّ آخر مخاطباً العذراء مريم :

يا دوّة داوُد يا شمس الحلولْ عيسى الهزار فيكِ يمدح ويقولْ

ويروي ايضاً في نظمهِ انهُ من طائفة السريان كقولهِ في مديح آخر للبتول :

وكيف لا امدحها ألوانْ وانا من جملة السريانْ

اما وطنهُ فيستفاد من اناشيدهِ انهُ كان من نصارى العجم وانهُ قدم من بلاده الى القدس الشريف حيث يقول :

« الى القدس الشريف ارحلْ من بلاد العجمْ »

ويدلّ اسمهُ «الهزار» على اصلهِ العجمي والهزار بالفارسيّة البلبل ولذلك دعا ايضاً نفسهُ «بعيسى هزار الشرقيّ»

ومما افادتنا هذه المنظومات المنشورة في مجلّة الشرق المسيحي انّ عيسى هزار تجوّل في انحاء الشام وزار صيدنايا ووصفَ كنائسها وصورتها الشهيرة . لا بل امتزج بطائفة الروم المتملكين عليها فمدح بطاركهم المسمّى يواكيم :

يا ربّ بالبكر مريمْ احفظ لنا ذا المعلّمْ
انبا يواكيم ايضا البطريرك المكرّمْ

ولعلّهُ وهو سرياني كما سبق قولهُ عدلَ الى طائفة الروم الملكيين ولذلك دعا البطريرك يواكيم بابيهِ

ويدلّ على عدوله هذا الى الملكيّة ما عدا قصائدهُ في مزار البتول في صيدنايا زجليّةٌ طويلة قالها في السيّد المسيح وختم كلّ ادوارها بهذه الالفاظ اليونانيّة «اجيوس اوثاوس اجيوس ايسشيروس اجيوس اثاناطوس» اي قدّوس الله قدّوس القويّ قدّوس الحيّ

فبقي علينا تعريف زمانه . وذلك مما يستدل عليه من النسخة الخطية التي نقل عنها حضرة اسين بلاسيوس حيث قال انَّ ورقها يشعر بكونها من القرن السادس عشر واوائل السابع عشر

ثمَّ دخلت في مكتبتنا الشرقيَّة مجموعةٌ قديمة من اناشيد لعدَّة قوَّالين تؤيد هذا الرأي ولا يبعد كونها من اوائل القرن السابع عشر

وقد كتب لنا الطيِّب الذكر المرحوم السيِّد بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت سنة ١٩٠٧ انهُ وجد في قائمة مخطوطات الڤاتيكان التي ألَّفها السمعاني فنُشرت في تأليف الكردينال ماي (Mai : Scriptorum Veterum Nova Collectio, t, IV, p. 591. Cod. DCLXXXII) ذِكر مجموع بمخطوط تاريخ كتابته سنة ١٨٦٨ لليونان الموافقة للسنة ١٥٥٧ للمسيح فيه عدَّة قصائد لعيسى هزار . ومن ثمَّ يترتَّب على ذلك انهُ كان في اواسط القرن السادس عشر . ومن هذا ايضاً نستنتج انَّ البطريرك يواكيم الذي اشار اليه هو يواكيم المعروف بابن زياده كان مطراناً على حمص ثمَّ صار بطريركاً ملكيًّا نحو السنة ١٥٩٣ وتولى البطريركيَّة ١١ سنة(١ . فيكون اذن عيسى الهزار عاش الى اواخر القرن السادس عشر

﴿منظوماتهُ﴾ هي كلها مدائح وزجليَّات على طريقة العامَّة على اوزان وادوار وقوافٍ خاصَّة . نشر منها حضرة الكاهن اسين بلاسيوس عدَّة امثلة نقلنا شيئاً منها في المشرق (٩ [١٩٠٦]: ١٧٠٨ــ١١٠٤) . وفي مخطوط مكتبتنا الشرقيَّة الذي اشرنا اليه خمسُ زجليَّات لعيسى هزار في اوَّل هذا المجموع (ص ١ــ٢٥) اما موضوع هذه الزجليَّات فمعظمها مدائح قالها في العذراء مريم والسيِّد المسيح . دونك شيئاً من مديحهِ في قيامة المسيح :

بلِّغني المسيح آمالي وغيرُه مخلِّص ما لي
في يوم القيامه ذخري هو كنزي وهو راس مالي
سيِّدنا يسوع الباقي . في يوم القيامه ديَّان

١) كان حضرة المنوري قسطنطين باشا ظنَّ أنهُ اشار عيسى هزار الى يواكيم ضو (المشرق ١٠ [١٩٠٧]: ٢٨٧–٢٨٨) والصواب يواكيم زياده الذي سبق عهد البطريرك يواكيم ضو

في حُبّه بحور اشواقي ماجت مثل موج الطوفان
في اعلى المراتب باقي وسرُّهُ سرَى في الاكوان
مدحُ ابن البتول العالي ودينه العزيز الغالي
وامُّهُ عدَّتي في حَشْري تخفّف جميع اثقالي
هو النجم العظيم الزاهر من قبره تفيض الانوار
ودينُهُ الشريف الطاهر كمّل دين موسى المختار
ودعانا بنين القادر وآمرنا بشدّ الزنّار
ذكرُه في الملا يُحلي لي واصلح جميع احوالي
فأفني في مديحه عمري وارجوهُ في غدٍ يَبْقى لي

ومن اقواله في العذراء مريم (على وزن يا من احرموني لذيذ المنام):

في العذرا النقيَّة بروق النظام خلوص البريَّه وشمس الانام
الدرّه المضيَّه مصباح الظلام في الموقف شفاعه منها ارتجي
هي الستّ المطاعه اليها التجي

يا احلى ذكر مريم في وسط القلوب منها تجسَّم ديّان الشعوب
يسوع المعظَّم غفّار الذنوب في يوم القيامه اليها التجي
هي النور والحمايه والصوت الشجي

وهي طويلة وفي ما ذكرنا دليل على براعته في هذا الفنّ فضلًا عن عواطفه الدينية الشريفة ومعانيه الرقيقة اللطيفة

(له بقيّة)